نشرة شهرية ثقافية اقتصادية ليبرالية تصدرها جمعية النداء الجديد

النداء الجديد

العدد الثانى والاربعون - اكتوبر ١٩٩٧

حرية - عدالة - عقلانية

مصرع اميرة: حملة ظالمة على الصحافة

الأم تيريزا: قيم الخير والنبل التى نفتقدها

حزب سياسى لجيل الحركة الطلابية؟

النداء الجديد
رئيس مجلس الإدارة : د. سعيد النجار رئيس التحرير : د. وحيد عبد المجيد
مستشارو التحرير : د. حازم الببلاوى ـ د. أسامة الغزالى حرب ـ أ. محمود أباظة ـ د. شريف لطفى
العنوان : ١٤ شارع عبد الحميد لطفى ـ مدينة المهندسين / ت :٣٣٧٤٢١٣

رؤى ليبرالية

محاربة التطرف بالوعظ والتلقين.. والغناء!

يعرف الفنان الكبير يوسف شاهين مدى اعزازنا لفنه وتقديرنا لشخصه ومكانته. وكانت "النداء الجديد" فى مقدم المحتفلين بحصوله على جائزة تقديرا لتاريخه الفنى فى مهرجان "كان" فى دورته الأخيرة. خصصت الجمعية أحد لقاءات صالونها الثقافى لهذا الحدث. وتابعت النشرة الشهرية الموضوع من أكثر من جانب.

واذا كان هذا هو واجبنا إزاء فنان قدير وقدوة فى شأن احترام النفس، فمن حقنا، بل وواجبنا أيضاً، مصارحته بأنه لم يوفق فى فيلمه الأخير "المصير"، رغم إدراكنا نبل مقصده.

وأكثر مالم يوفق فيه هو اختزال المواجهة الثقافية ضد التطرف إلى غناء ورقص. فهذا التبسيط المخل لا يساهم فى مواجهة التطرف، بل ربما يؤدى إلى دعمه. فاذا لم يكن هناك خيار ثالث بين التطرف والرقص، فالأرجح أن الأول هو الذى سيفوز فى مجتمع تسوده تقاليد محافظة لا يأخذها بعض دعاة "التنوير" فى حسبانه. وهذا هو ما نحذر منه، خصوصاً وأن الإستهانة بالتقاليد تزداد على نحو يلحق أبلغ الضرر بالمعركة ضد التطرف والإرهاب. ففى الوقت الذى عرض فيه فيلم "المصير"، الذى يحث على مواجهتهما بالرقص، فوجئنا بمن يعتبر مسابقة "ملكة جمال مصر" هى التى ستساهم فى تحسين صورة بلادنا فى العالم كله، بعد أن تأثرت هذه الصورة بظاهرة التطرف!

وحتى اذا تغاضينا عن عدم توافر مقومات مثل هذه المسابقة فى مصر، بدليل محدودية المشاركة فيها، ونوعية المشاركات وحتى مستوى "جمالهن"، لايجوز اعتبار مسابقة كهذه "نضالاً" ضد التطرف، مثلما لا يصح اختزال هذا "النضال" فى رقص وغناء.

كما أن هذا التبسيط يقص أجنحة الأفكار التقدمية إياً تكن قيمتها، عكس ما سعى يوسف شاهين إلى تأكيده. هذا فضلاً عن أن الأفكار، التى تعثر عليها فى الفيلم بصعوبة، ليست من النوع الذى يمكن أن تحمله أجنحة وتطير به لتنشره بين الناس. فالأفكار التى يقصدها المخرج الكبير، ولم يقدمها فى فيلمه، لابد أن تكون منسجمة مع الذوق العام، ومع روح المجتمع، دون أن تخضع للتقاليد أو تقفز عليها بشدة فى الوقت نفسه. كما لا يصح أن يكون السياق الفنى، الذى يحتويها، متعارضاً بشكل صارخ مع وقائع التاريخ.

الفيلم يسعى إلى تقديم رسالة لم يحسن صياغتها. وقدمها فى صورة مباشرة كما لو كانت منشوراً سياسياً. وقيل الكثير فى نقد هذه المباشرة، وما انطوت عليه من سطحية، من منظور فنى. ولكن من منظور سياسى أيضاً، هذه الطريقة المباشرة لا تدعم امكانات وصول الرسالة إلى المشاهد الذى لا يثق فى أسلوب الوعظ والتلقين الذى يحاصره فى التلفزيون والصحف الرسمية.

لقد اقترن أسلوب التلقين الرسمى المستمر منذ الخمسينات بمضامين تقوم على الكذب والخداع والتضليل. ولذلك ينفر الناس من هذا الأسلوب اياً يكن مصدره، حتى لو كان يوسف شاهين الذى هو ضد هذه المضامين التى كشف الرأى العام زيفها من كثرة تكرارها. فالناس ينتظرون من مخرج كبير مثله أن يحترم عقولهم، التى يمتهنها الإعلام الرسمى كل يوم. ومن هنا كانت الصدمة فى فيلم استخدم أسلوب التلقين نفسه، ومايقوم عليه من تصنيف قاطع جازم بين الخير والشر، وإدعاء إمتلاك الحقيقة كلها، واطلاق المواعظ، حتى لا يكون هناك أى مجال للتفكير والتأمل. والفيلم، على هذا النحو، لا ينتمى إلى سينما يوسف شاهين، التى يعتبر التفكير أحد أهم مميزاتها.

واذا كانت المبالغة فى التعقيد حالت دون وصول كثير من أفلامه البارزة إلى المشاهدين، فالأكيد أن المبالغة فى التبسيط والتلقين والوعظ المباشر تحول بدورها- وربما أكثر- دون تفاعل الجمهور مع فيلم "المصير". وهو التفاعل الضرورى لتحقيق الجملة التى ختم بها شاهين الفيلم: "الأفكار لها أجنحة" قادرة على توصيلها إلى الناس.

لقد كان الناس ينتظرون من المخرج الكبير عملاً يتفاعلون معه فى شأن قضية التطرف والإرهاب. عملا يختلف عن الأعمال المسطحة التى شاهدوها فى السينما والتلفزيون خلال السنوات الماضية. وكانت المفاجأة أن العمل الجديد لايختلف عن ما سبقه، بل ربما يمكن اعتباره أقل من بعضها خصوصاً فى مجال المبالغة فى التلقين والوعظ من ناحية، وفى مضمون الرسالة السياسية من ناحية أخرى. وعلى من يريد مواجهة التطرف فعلاً أن يعمل من أجل إزالة القيود المفروضة علي التطور الديمقراطى، وأن يسعى إلى رفع مستوى الوعى العلمى، وأن تكون لديه شجاعة مواجهة الفساد المستشرى، وأن ينبه إلى مخاطر توسع الفجوة الإجتماعية بفعل هذا الفساد الذى خلق فئة تعيش فى أعلى قمة المجتمع، فى الوقت الذى تزداد معدلات البؤس وترتفع نسبة من يعيشون تحت خطر الفقر المطلق إلى ما يتراوح بين ٢٥ و٣٠٪ من المصريين.

على من يريد مواجهة التطرف أن يعيد إلى شباب مصر الأقل حظا الأمل فى مستقبل أفضل، أو أقل سوءاً مما ينتظرهم. ولا سبيل إلى ذلك غير العمل من أجل فتح قنوات الحوار العام المسدودة، وتحريك الحياة السياسية المجمدة، وتدعيم مؤسسات المجتمع المدنى، والاهتمام بمحاربة الفساد بمثل قدر الاصرار على مواجهة الإرهاب.

فالفساد والإرهاب هما وجهان للعملة نفسها. وواهم هو من يتصور إمكان القضاء على الإرهاب دون محاصرة الفساد. وحبذا لو كان المثقفون، الذين وقعوا أخيراً بياناً ضد التطرف، ادانوا الفساد أيضاً. فلو صدر هذا البيان ضد "قوى الظلام والفساد" معاً، لأكتسب مصداقية وتأثيراً افتقدهما.

الطريق وا ضحة، والمعركة من أجل المستقبل لايمكن تجزئتها.

د. وحيد عبدالمجيد

KAMEL GRAPHICS